

إلزامية التدريس باللغة الإنجليزية في الجامعة الجزائرية وإشكالات التعددية اللغوية

Teaching in English at the Algerian University and the problems of multilingualism

نادية حديدان^{1*}، أسماء خالد²، صبرينة حديدان³

¹ جامعة العربي التبسي - تبسة (الجزائر)، nadia.hadidene@univ-tebessa.dz

(<https://orcid.org/0009-0007-7006-6805>)

² جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، asma.khaled@univ-constantine2.dz

(<https://orcid.org/0009-0002-5717-095>)

³ جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل (الجزائر)، hadidanesabrina@univ-jijel.dz

(<https://orcid.org/0000-0003-2010-8353>)

تاريخ القبول: 2024/12/16

تاريخ الاستلام: 2024 / 11 / 21

الملخص:

تنطلق هذه المساهمة العلمية من التأكيد في البدء والختام على كونها محاولة للاقترب من ظاهرة تثير النقاش العلمي، محاولة للفهم على المستوى الواقعي لا غير. يتعلق الأمر بما تشهده الجامعة الجزائرية في الآونة الأخيرة من تحول غير مسبوق نحو استعمال اللغة الإنجليزية تدريسا، وتكويننا ونشرا، وهو مطلب سعت له الوزارة حثيثا رغبة منها في زيادة مرتبة الجامعة الجزائرية من خلال النشر باللغة الانجليزية على اعتبارها اللغة الأكثر استخداما في البحث العلمي على المستوى العالمي، ورغبة في تطوير مهارات الفاعلين في النسق الجامعي اللغوية. غير أن هذا المسعى لم يصل بعد إلى تحقيق الأهداف المرجوة؛ حيث وعلى الرغم من أن النشر صار يعتمد على اللغة الإنجليزية في معظم المجلات، إلا أن التدريس مازال باللغة العربية والفرنسية. وتحاول الباحثات في هذه المساهمة العلمية الوقوف على الإشكالات التي قد تنجم عن إلزامية التدريس باللغة الإنجليزية خاصة منها ما تعلق بإشكالات التعددية اللغوية.

الكلمات المفتاحية: تدريس الإنجليزية؛ الجامعة الجزائرية؛ مرتبة الجامعة؛ التعددية اللغوية.

Abstract:

The Algerian University has recently moved towards the use of the English language in all educational, training and research activities. This was an effort by the Ministry to increase the visibility of the Algerian university, a goal achieved through publishing in the universal language and developing the language skills of actors in the university system. But it is noticeable that teaching in English has not succeeded so far, which makes us face a conflict between what the ministry aims to achieve and what exists in reality.

In this scientific contribution, researchers try to identify the problems that may result from the mandatory teaching in English, especially those related to the problems of multilingualism.

Keywords: English, Algerian University, Visible University, Multilingualism.

مقدمة:

الغاية من وراء الوقوف عند ما يحدث في الجامعة الجزائرية من تأكيد على اللغة الإنجليزية - خاصة بعد كورونا- هي إدراك الأثر / الآثار التي يمكن أن يحدثها هذا المسعى على المستوى البنائي والوظيفي، على مستوى البنى والعلاقات داخل النسق الجامعي، ومع كل الفاعلين الذي يمكن أن تكون لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتدريس والتعامل باللغة الانجليزية.

لقد امتازت مرحلة ما بعد كورونا ببروز دعوات رسمية لتمكين الأستاذ الجامعي من اللغة الانجليزية تمهيدا للتحويل نحو التدريس بها كبديل عن اللغة العربية. جاءت هذه الدعوات على شاكلة مقترحات للمزاوجة بين نمطي التعليم: الحضوري، وعن بعد.

في هذا السياق وجدت الفئات الفاعلة في الجامعة الجزائرية نفسها أمام مساءلة تاريخية تؤول بها لمعرفة الأهداف المرجوة من هذه الدعوات التي ما فتئت أن تحولت لقرارات لم تشرك فيها تلك الفئات، بل وهمشت بصورة أو بأخرى.

فنظرا للمكانة التي احتلتها اللغة الإنجليزية عالميا في مختلف المجالات خاصة التعليمية منها، اتخذت الوزارة قرارا بضرورة دمج هذه اللغة في العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية، حيث تعتبر هذه الخطوة، خطوة تكميلية للبرنامج الحكومي في اعتماد اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الابتدائي، وقد أطلقت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي استفتاءً على الأنترنت حول تعميم اللغة الإنجليزية في الجامعات، حيث صوت أكثر من 93 % لصالح هذا القرار.

المسألة تتعلق إذن بانتقال غير مشروط من التدريس باللغة العربية، إلى تبني واستدماج اللغة الإنجليزية في عرض المحاضرات، في تلك التي تنشر على المنصات الرقمية، في نشر المقالات العلمية، وغيرها من الاعمال العلمية والبيداغوجية؛ إذ غدت الأولوية لتسويق هذه اللغة على حساب اللغة العربية، بما في ذلك الميادين التي يفترض فيها هيمنة اللغة العربية مثل اللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية. وهي ظاهرة تقتضي التمهل في استيعاب الدعوة للغة الإنجليزية بهذا الحمس، كحدث نخاله غريبا عن مجتمعنا، الذي تعبر فيه اللغة العربية عن واقع اجتماعي متجذر في هويته وفي عالم الحياة اليومية فيه.

صحيح أن الجزائر بلد التنوع الثقافي، لكن طرح مسألة التنوع اللغوي ليست واردة (لأننا نعيش تنوعا لهجيا)، حيث تعيش الجزائر تعددا لغويا انطلاقا من التنوع اللهجي كلفة أم، مروراً باللغة العربية التي ينشأ عليها الفرد مدرسيا، وصولاً إلى اللغة الفرنسية التي تضاف إلى المنهاج الدراسي بعد سنتين من بداية التعليم الابتدائي، ختما باللغة الأمازيغية التي أدرجت في الآونة الأخيرة، وما زالت اللغة العربية والفرنسية مهيمنتين على نمط التكوين والتخاطب والتواصل سواء في الفضاءات الرسمية أو غير الرسمية، فما بال الخطاب الرسمي يلح على إلغاء أو على التغاضي عن الواقع الاجتماعي المتجذر الذي تقوده اللغة العربية والفرنسية، والتي قد لا نجانب الصواب إن اعتبرنا أننا لم نتحكم فيهما بعد!

ومن غير الجديد أن نؤكد على أن التعدد اللغوي يحمل معه تنوعا وثراء مفاهيميا ومعرفيا، ولكنه في الوقت نفسه يوجد إشكالات تتعلق بمحاور أساسية تمس بالأخص الجوانب الهويةية والثقافية للمجتمعات التي تعيش التعدد اللغوي من جهة، كما يمس محتوى المناهج التدريسية واستراتيجيات التدريس، التي تتحول إلى أدوات يتم من خلالها استيعاب التعدد اللغوي، مبتعدة بذلك عن أهدافها التدريسية في محتوى البرامج.

ربما يكون من باب أولى أن ننصف الخطاب الرسمي في توجهه هذا، ومبرره في ذلك أن اللغة الإنجليزية هي لغة العلم، وأن البحوث والتطورات إنما تحصل بهذه اللغة. لكننا هنا أمام مسألتين حرجيتين، أولهما: لماذا حصل هذا؟ وما هي مبررات استبعاد اللغة العربية من مجالات العلم والمعرفة؟ (وليس هذا مقام الإجابة عن

هذا التساؤل) والثانية: هل نحن مستعدون للمضي قدما نحو استدماج اللغة الإنجليزية والتحاضر عن طريقها؟ وما هي اللغة المستعملة في صياغة البرنامج، وفي التدريس الفعلي للمقاييس داخل فضاءات الجامعة؟

وهو ما سيأتي جوابه عند وقوفنا على العديد من المحطات؛ بدءا برهاني الهيمنة وسلطة اللغة العربية وحاملها، ومقاومة الفاعلين في النسق الجامعي لإدماج هذه اللغة. وانتهاء بعرض العوائق المفترضة لتبني الخيار المؤسسي للتدريس باللغة الإنجليزية.

من باب أولى أن نورد هذه الملاحظة التي مفادها: أننا لا نرمي من خلال هذه المساهمة البحثية إلى أن نقلل من شأن اللغة الإنجليزية في مقابل اللغة العربية، ولا أن نندي من قيمة القرارات المتخذة حيال العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية، ولكن المسعى هو تقديم قراءة تحتوي بعضا من العناصر الأولية التي قد تسهم في فهم بعض الإشكالات المتأتية عن تبني التدريس باللغة الإنجليزية في الجامعة الجزائرية. إشكالات بدأت تظهر بظهور الازدواجية اللغوية، هذه الواقعة التي عالج تبعاتها عدد من الباحثين من بينهم الأستاذ عمر بن قنة في كتابه المشكلة الثقافية في الجزائر، مؤكدا على أن أس المشكلة الثقافية في الجزائر هو الصراع المتأني من ازدواجية اللغة بين العربية والفرنسية، إنه " صراع تاريخي بين رافدين حضاريين متصادمين... فاللغتان المتصارعتان تحملان إيديولوجيتين مختلفتين بمضمون سياسي وديني (بن قنة، 2000، ص 06). ويرى الباحث في اللغويات عبد العلي الودغيري أن علاقة اللغة العربية باللغات التي تقحم في بيئاتها تكون على حالين: الأولى: هادئة لا نزاع فيها، والثانية حال السيطرة التي تأتي فيها اللغة الأجنبية على فوهة السلاح والدبابة لتزيل اللغة العربية وتحل محلها. (الودغيري، 2010، ص 6-7)

فماذا سيكون الحال مع التعددية اللغوية بفرضنا للغة الانجليزية. هذه القراءة قد تحمل في طياتها انتقادات عديدة، لكنها في الأصل رؤية علمية طامحة لقراءة الواقع بصورة موضوعية، ومقارنته لما هو مأمول، تفاديا لمظاهر النزاع بين ما هو مرغوب فيه وما هو واقع فعلا. ودعوة في أن يدعا للغة الانجليزية بعد نظرة متأنية، وبعد تنظيم وروية، تحتل فيها اللغة العربية مكانتها الأصيلة، ويعتمد على بقية اللغات كوسائل داعمة لتلقي المعرفة.

أولا: مشروعية حضور اللغة الإنجليزية: التآرجح بين الهيمنة والمقاومة:

قبل الشروع في تناول هذا العنصر نود الإشارة إلى نقطة مهمة ألح عليها الباحث في اللغويات عبد العلي الودغيري حينما يؤكد على أن الأصل في تماسك المجتمع هو توحيد اللغة، ووجود لسان مشترك، الأمر الذي يضمن حسن التواصل بين عناصر ومكونات هذا المجتمع، وأن التعدد مسألة لا يتم اللجوء إليها إلا بطريقة استهدافية: من باب درء المفاسد أو جلب المنافع. (عبد العلي الودغيري، 2014، ص 71)

نتناول في هذا العنصر مسألة مهمة، ألا وهي هيمنة اللغة العربية ومقاومة إدماج اللغة الإنجليزية، مقاومة متعددة الأطراف، ولها العديد من المبررات. فاللغة الإنجليزية في مواجهة اللغة العربية، نمطان لغويان مختلفان بنيويان، ويراد لهما أن يتفاعلا في سياق اجتماعي واحد مع العلم أنهما قد نشأ في سياقين اجتماعيين مختلفين.

إن السياق الاجتماعي الذي نشأت فيه اللغة الإنجليزية وتشكلت ونمت، هو السياق الغربي الذي شهد تحولات بنيوية واضحة المعالم، عملت من خلالها المجتمعات الغربية على تطوير ذاتها وإنتاج شروط معرفتها وفق رؤية منتظمة الأبعاد، كما عملت فيها كل الجهات الفاعلة في المجتمع (ومنهما الجامعة) على أداء دورها. وبالتالي يكون هذا السياق مختلفا تماما عن المجتمع الجزائري، الذي يختلف في بنيته وطبيعته عن المجتمع الغربي تشهد فيه اللغة الانجليزية التحول البنيوي الذي شهدته ذلك المجتمع، ولم تعرف المسار التحولي

نفسه ، وهو ما يجعل من النقل غير المشروط للغة الإنجليزية للمجتمع الجزائري ممارسة مشكك في نجاحها بناء على الطرح السابق.

حيث إننا إذا أهملنا خصوصية السياق الاجتماعي والثقافي لنشأة وتشكل اللغة وتفاعلها، نجد أنفسنا أمام إشكال عدم ملائمة اللغة لسياق غير السياق الذي نشأت فيه من جهة، ومن جهة أخرى إمكانية نشوء صراع لغوي، أو مقاومة تعيق الوصول إلى الأهداف المرجوة.

هكذا، يقدم هذا الطرح أمام المنشغلين بالمسألة اللغوية عدة تساؤلات تتعلق في مجملها بالنمط اللغوي الذي يفترض أن يطغى على العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية، مقابل مستوى التكوين لدى الفئات الفاعلة داخل هذا النسق، والذين تلقوا تكويننا باللغة العربية في عمومها؛ وهذا ما يجعل من طرح مسألة إقحام اللغة الإنجليزية بهذه الحدة في الجامعة محل جدل بحثي وأكاديمي.

وفي خضم المواقف التي تواجه هذا الطرح، وهي مواقف مختلفة ومتباينة، وقد تكون متعارضة أحيانا حيث تتدرج من التحمس إلى الرفض، مروراً بالترقب، الخوف والحياد. يعتمد كل موقف على مدى قناعة أصحابه وثقتهم في النمط اللغوي الواجب هيمنته على العملية التكوينية في الجامعة. وهو ما يأتي بيانه كالتالي:

1. التحمس:

يدعو أصحاب هذا الموقف إلى الانتقال من النمط التكويني الواحد إلى نمط التكوين متعدد اللغات، أي من هيمنة اللغة العربية إلى التعددية اللغوية، وهو الانتقال الذي سيسمح -حسبهم- بزيادة مرئية الجامعة الجزائرية ودعم جهودها البحثية على المستوى العالمي؛ كون الإنجليزية هي لغة العلوم المعاصرة وأن البحوث المنشورة بهذه اللغة أكثر مقروئية من تلك المنشورة باللغة العربية. هذه اللغة التي فرضت نفسها على عرش البحث العلمي بجميع تخصصاته، الاجتماعية، الإنسانية، الأدبية، التكنولوجية...؛ لذلك تراهم متحمسين للانتقال غير المشروط نحو استعمال الإنجليزية للتدريس، والبحث في الجامعة الجزائرية.

2. الترقب والتخوف:

يعبر هذا الموقف عن قلق أصحابه حيال مستقبل اللغة العربية ومستقبل الجامعة الجزائرية، ومستقبل العملية البحثية، مما قد يشكل خطراً على الهوية الوطنية، العربية والإسلامية، الناجم عن التخلي عن اللغة الأم لصالح لغة أخرى. ويحمل هذا الموقف معه مخاوف تعبر عن ترقب أصحابه للمآلات التي قد تنجم عن هذا القرار، وهي تعبر عن منحنى سلبي أكثر منه إيجابي.

3. الحياد:

لا يظهر أصحاب هذا الموقف أي موافقة أو رفض، ولا يمكن قراءة موقفهم تجاه المسألة المطروحة.

4. الرفض:

خلافاً للموقف الأول (التحمس) يعتمد أصحاب هذا الموقف لتنجية اللغة الانجليزية بل والنظر لها نظرة دونية بالمقارنة مع اللغة العربية، ويدعون لتبني اللغة العربية لإقامة منهج تكويني جامعي له خصوصياته الداعمة لمقاومة قوى التغريب. ذلك أن التعليم الجامعي هو إحدى الآليات الفاعلة في محاربة الكيانات الثقافية الغربية، وأن التعليم باللغة العربية يعمل على الحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية. ناهيك عن النقص الواضح في الشروط الواجب توفرها للانتقال نحو اللغة الانجليزية.

لا بد من الاعتراف أننا نجد أنفسنا أمام هذه المواقف في مواجهة تساؤلات متعددة، قد تصل إلى حد التناقض بين مؤيد ومعارض. ومن بين هذه التساؤلات: ألا يمكن للجامعة القيام بوظائفها البحثية والمجتمعية بالاعتماد على اللغة العربية؟ وإذا كانت إجابة بلا، هل يرجع هذا لضعف مستوى البحوث باللغة العربية؟ أم لهيمنة اللغة الإنجليزية على مجال البحث عالمياً؟ وما هي عوامل ضعف مستوى البحوث

المنجزة باللغة العربية (إن كان هذا حالها)؟ ما هو الهدف/ الأهداف التي ترمي إليها الفئات المتحمسة لتعميم استخدام اللغة الإنجليزية؟ وما هي المخاوف التي تترقبها الفئات الراضية للمسألة ذاتها؟ هل نحن على استعداد لتبني لغات/ لغة أخرى للتكوين والبحث في الجامعة الجزائرية؟ ... لكن ما يهمنا كباحثين أمام كل هذه التساؤلات تلك المواقف التي يتبناها الفاعلون حيال اللغة الانجليزية؛ حيث يعترضنا موقفان بارزان للمسألة المراد دراستها، وهما التأييد الذي لا يرى مانعا من هيمنة اللغة الانجليزية، والرفض والمعارضة التي ترى عكس ذلك، مانحة الشرعية للغة العربية. ولكل موقف ما يبرره حسب تابعيه.

فانطلاقا من التحمس والاندفاعية، يتجلى الموقف المؤيد، الذي يؤكد على أن مجتمع المعرفة الذي نعيشه لم يكن لتكتمل أبعاده إلا بواسطة الجمع بين أطراف المعرفة مشكلين ومستخدمين لها، في عملية تواصلية تجمع بينها اللغة، ولم يتأت هذا بشكله الأوضح إلا من خلال اللغة الانجليزية التي عملت على التقريب الفعلي والبناء الواضح لمجتمع المعرفة.

لذلك يرى الفريق المؤيد أن الهيمنة لابد أن تكون للغة الانجليزية باعتبارها لغة العلم باعتبارها اللغة الأولى لأكثر من خمسمائة مليون إنسان يعيشون في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا واللغة الثانية لمعظم سكان الأرض. ولا تأتي أهمية تعليم وتعلم اللغة الانجليزية من كثرة عدد المتكلمين بها فقط وإنما من المكانة العالمية التي تحتلها، فهي لغة السياسة والسياسيين في المحافل الدبلوماسية، ولغة العلوم والعلماء في المؤتمرات العلمية، ولغة التجارة والتجار في الصفقات التجارية والعقود المالية، ولغة التكنولوجيا والمعلوماتية والعاملين فيها، ولغة العلم والمعلمين في معظم المؤسسات التعليمية في العالم، ولغة الاتصال بين معظم الناس المستخدمين للبريد الالكتروني ونظام الانترنت وغيرها كثير(حليمة، 2014 / 2015، ص 201، 203)، وأن الأبحاث والدراسات العالمية إنما تتم عن طريقها وبواسطتها.

وضدا للموقف السابق، هناك الموقف المعارض الذي يرى أن اللغة العربية (هي لغة مقدسة، وواحدة من أهم مقومات الهوية العربية والإسلامية، والجزائر باعتبارها دولة عربية وإسلامية حاربت من اجل اللغة العربية وتعليمها وعانت الكثير لاثباتها. وذلك لإثبات الهوية الوطنية ودسترتها مقوما من مقومات الهوية العربية والاسلام، رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهتها من طرف المستعمر الفرنسي (بلعباس وعداد، ديسمبر 2022، ص 18) وبذلك، فمن المحتمل أن تتعرض اللغة العربية لهدم بنيانها، ومن الممكن أن تتراجع مكانتها إذا ما ووجهت بلغة أخرى.

يزيد من هذا الاحتمال عدم تهيئة الأرضية الملائمة للتطبيق المباشرة للازدواجية اللغوية، وعدم توفر الآليات التي تمكن هيئة التدريس من تلقين وتكوين الطلبة باللغة الانجليزية أو التخلي فجأة عن لغة أخرى يتم تغييرها كطرف ثالث أكثر هيمنة على المسألة اللغوية في الجزائر: إنها اللغة الفرنسية، التي هيمنت ولا زالت تهيمن على مسارات التكوين والمعرفة في المنظومة التكوينية في الجزائر، وعلى المعاملات الإدارية والاقتصادية، كما تعتبر لغة حوار في المدن الكبرى منذ فجر الاستقلال وحتى اللحظة التي نخط فيها هذه المساهمة المعرفية. تجلى هذه الضدية في الموقفين التقابل بين ما هو مرغوب فيه، وما هو مرغوب عنه، والتضاد بين ما هو واقع وما هو مأمول، لعله تكشف عن مواطن الجدل (الهيكلي/ الماركسي) الذي يكمن في ذات الفكرة، إنه تعبير عن فترة تاريخية تشهدها الجامعية، لم تكن منفصلة عن تتابع زمني شهدت فيه هذه الجامعة جملة من التغيرات التي تستدعي استحضار إمكانية التناقض بين اللغات المتفاعلة ضمن هذا النسق من جهة، والمآلات المنتظرة من جهة أخرى.

في نظرنا- كباحثين - أن الموقف الذي لابد أن نتخذه حيال هذه المسألة يتحدد يقينا بالأهداف المرجو تحقيقها ضمن العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية، وفي هذه المحطة التاريخية بالذات.

بالنسبة للأهداف المرجو تحقيقها: ليس جديدا القول بأن أهداف الجامعة تتمظهر من خلال الوظائف المناطة بها، وهي الوظائف الثلاث: التكوين، البحث العلمي وخدمة المجتمع. وأن أي منظومة مجتمعية تطمح لتطوير مكونات الجامعة لابد أن تتأكد أولا من بلوغ الجامعة لأهدافها وأدائها للوظائف التي أنيطت بها.

بمعنى استفهامي أوضح، هل حققت الجامعة الجزائرية الوظائف المذكورة أعلاه (التكوين، البحث العلمي، خدمة المجتمع وهي الوظيفة التي لا بد من التركيز على أن تحقيقها يعتمد على البنية المجتمعية التي تتفاعل معها) على النحو الذي يجعلها تتطلع لعولة وظائفها انطلاقا من اللغة الانجليزية؟ عند هذا السؤال لابد أن تجرى دراسات لتقييم للوضعية المحلية والتعرف على تلك الشروط المجتمعية الكفيلة بتحقيق أهداف وغايات ضمن ممارسات اجتماعية متباينة. دون إهمال تقييم الوضعية الوطنية للجامعة الجزائرية، ولمخرجاته، ولدورها في المجتمع الجزائري تحديدا، ودور مخرجاتها في عملية التنمية المجتمعية التي لم تكتمل أبعادها ونحن نعيش ستة عقود ضمن هذا المسار.

ثم ألم تكن الجامعة في مجتمعنا الوسيلة أو الأداة التي يتم من خلالها الاستجابة لمطلب كمي (استيعاب تدفقات حملة شهادة البكالوريا وتخريج أعداد من حملة الشهادات) دون الاهتمام المفترض للمطلب النوعي (تكوين الكفاءات والنخب التي تعمل على رسم السياسات الاجتماعية والخطط التنموية والمساهمة الفاعلة في المجتمع.

وبالنسبة إلى المحطة التاريخية الحالية، ومن أجل إدراك ما يمكن أن يؤتيه نظام ما في مجتمع ما في مرحلة من مراحل تطوره أو حتى تغييره، لا بد من ردّ المسألة المراد فهمها إلى اللحظة التاريخية التي تتفاعل فيها مع ذلك المجتمع. وبمنظرة متفحصة لما نعيشه في المحطة التاريخية الحالية، يمكن وصفها بأنها محطة تمتاز بما يلي:

الوتيرة المتسارعة لزيادة مرئية الجامعة الجزائرية وترتيبها العالمي.
التحولات غير المسبوقة في مجال الرقمنة والمنصات الرقمية.
المسارعة في التحول نحو التعليم عن بعد كنمط بديل عن التعليم الحضوري.
العزوف غير المعهود عن إتمام مسار الماستر بدافع التحول نحو مجال الشغل.
تخبط الجامعة الجزائرية في مشكلات تجعلها تنساق نحو برائث الاستشكال عن مكانتها الحقيقية، ومكانة الفاعلين فيها (خاصة هيئة التدريس والكفاءات البحثية).
وضمن هذه المعطيات وغيرها، تتجلى قرارات الوصاية على أنها قرارات تنأى عن فهم واقع الجامعة الجزائرية فهما ضمن مكانتها كنسق فرعي للمنظومة المجتمعية المتكاملة، والتي تستدعي تناغم كافة أجزائها بلوغا للهدف/ الأهداف العامة.

لذلك من غير المعقول أن نطالب الجامعة بتبني التدريس باللغة الإنجليزية، وهي ما تزال عالقة في عديد المشكلات التي تقعدها عن القيام بمهمتها على المستوى المحلي، فما بالك بما هو عالمي.

غير أنه - ومن الواضح- ميل الخيار المؤسسي أكثر فأكثر، إلى درجة الاختيار الفعلي والرسمي للغة الإنجليزية كلغة يمكن من خلالها نقل المحتوى التعليمي بين الفاعلين في العملية التكوينية في الجامعة الجزائرية، إيماننا منه واعترافا بشرعية هذه اللغة في تحقيق أهداف الجامعة وتطويرها. لكنه يهمل -بوعي أو من دون وعي- حقيقة لا يمكن إهمالها، وهي التي ستؤثر على تحقيق مطلبه في اللغة الإنجليزية، مختصرها أن

الجامعة الجزائرية تأسست وتشكلت وتطورت ضمن إطار لغوي حوى اللغة الفرنسية (التي تسيطر على الشعب التكنولوجية والرياضية والبيولوجية) وهذا حتى تاريخ إصلاح التعليم العالي سنة 1971، أين عمد هذا القانون إلى تعريب شبه كلي للفروع الاجتماعية والأدبية، فأضحت اللغة العربية اللغة التي تهيمن على التخصصات الأدبية، الإسلامية الاجتماعية والإنسانية.

قد يكون التوجه نحو تعميم اللغة الإنجليزية عاملا من عوامل التخلص من التبعية الفرنسية بدءا بالخروج من التبعية اللغوية، فقرار جعل اللغة الإنجليزية لغة تدريس في كثير من المجالات ما هو إلا محاولة للتخلص من التبعية الفرنسية. لكن الأمر لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتحقق بهذه الممارسات التي تعتمد على العشوائية أكثر منها على التدرج المفترض في التغيير، وهو تدرج ينبني على فهم الواقع ومتطلباته، واقناع الفاعلين فيه تحسبا لأشكال المقاومة (المعلنة والضمنية) التي قد تواجه المشروع. انطلاقا من حوار واسع الأفق، ودراسة أكثر شمولية يتجلى من خلالها: الممكن وغير الممكن في مشروع اللغة الإنجليزية.

لذلك تتجلى اللغة الإنجليزية كواقعة فرضتها بعض المبررات التي قد تكون منطقية ضمن حدي المقاومة التي تحد من فعالية نتائج تطبيقها من جهة، وهيمنة اللغتين العربية والفرنسية من جهة أخرى. وهو ما يجعلنا أمام سؤال العوائق التي يفرضها الواقع أمام الخيار المؤسسي لتبني اللغة الإنجليزية.

ثانيا: العوائق المتوقعة للتدريس باللغة الإنجليزية:

صحيح أن بروز اللغة الإنجليزية كلغة عالمية يرتبط بما شهده العالم منذ عقود مضت من وتيرة متسارعة، برز خلالها تطور هائل لتكنولوجيات الاتصال والرقمنة، مما أنتج موجة من التحولات امتدت على نطاق واسع لتشمل كافة مجالات الحياة، وأصبحت المجتمعات في ظلّ عصر العولمة واقتصاد المعرفة تعرف تأثرا وتغيرا متناميا لأساليب التعامل وأنماط العمل والإنتاج في واقع جديد يرتكز على رأس المال البشري، ويجعل من المعرفة والتحكم في إنتاجها وتداولها سمة أساسية لمجتمع المعرفة وشرطا للتنمية والتقدم الاقتصادي والرفاه الاجتماعي.

فكون اللغة الإنجليزية لغة النشر العلمي الأولى في العالم، فإن استعمالها من قبل الأساتذة والباحثين يعطيهم الأفضلية في الترويج الأكبر للبحوث والمقالات والمنجزات العلمية والتعريف بها في المجتمع العلمي العالمي، لاسيما أن مجال صناعة النشر العلمي محليا أو دوليا تغطي عليه المجالات والدوريات العلمية التي تعتمد اللغة الإنجليزية، فالتحكم في التحرير العلمي بهذه اللغة يختزل الجهد للبروز في أي تخصص من التخصصات العلمية بين النظراء من الباحثين في العالم، لاسيما عبر المجلات الدولية عالية التصنيف وذات الأثر الكبير في ساحة النشر العلمي.

من جهة أخرى، فإن استعمال اللغة الإنجليزية يساعد الباحثين على مضاعفة حضورهم الدولي خاصة من خلال المشاركة في الندوات والمؤتمرات العلمية والتي تعدّ من بين أهم وسائل النشر الأخرى، وأداة فاعلة تسرع التعريف بالمنتج العلمي وتوثق جسور التواصل مع الجامعات العالمية، وتكثف التبادل معها، بالإضافة إلى الاستفادة من الخبرات والمستجدات العلمية بما يحقق المرئية الأكبر للمؤسسات الجامعية والبحثية ويعرّف بمنتجها العلمي.

وهو ما يبرّر سعي وزارة التعليم العالي إلى تعزيز اللغة الإنجليزية كلغة بحث في الجامعة الجزائرية كضرورة وحتمية لعدة اعتبارات: منها محاولة تكوين جيل متفهم. كما يتمثل هدف الوزارة في بغية تقديم عناصر فعالة في المجتمع، بالإضافة إلى الارتقاء بالجامعة الجزائرية إلى مصاف الجامعات الدولية بمجموعة من الإجراءات ستشمل الطلبة والفرق البيداغوجية المؤطرة لهم.

إلا أن هناك بعض العوائق التي بإمكانها أن تأرق السير الحسن لهذا القرار -حسب وجهة نظرنا- وهي - بغض النظر عن محدودية الإمكانيات اللازمة لإدماج اللغة الإنجليزية- كالتالي:

1. وجود مقاومة معلنة وأخرى خفية:

فقد لوحظ بعد بدايات تطبيق هذا القرار وجود مقاومة معلنة وصريحة، وأخرى خفية تتجلى في سلوكات المعنيين بهذا القرار، أساتذة كانوا (مكونين ومكوّنين) أو طلبة. وتتجلى بعض مظاهرها في عدم متابعة التكوين بانتظام. ضبابية البرنامج تكوينيوطرحه بصورة لا مدروسة. رفض الطلبة وعدم استقبالهم لأي معلومات ترددهم باللغة الإنجليزية.

هذه المؤشرات وغيرها مدعاة للقول بأن هذه المقاومة عامل أساس من عوامل فشل الوصول إلى الأهداف المرجوة من قرار استدمج اللغة الإنجليزية، كما أنها قد تطرح أمامنا إشكالا آخر يتعلق ببروز مظهر جديد من مظاهر الصراع اللغوي في الجزائر ألا وهو صراع اللغة العربية -بوصفها اللغة الرسمية في البلاد- واللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى مظاهر الصراعات اللغوية الموجودة سابقا، وهي صراعات تحمل في طياتها صراعات بين عدة لغات قد تؤدي إلى امحاء لغة أو تدني استعمالها، تتجلى في الصراع بين: اللغة العربية واللغة الفرنسية، وبين اللغة العربية واللغة العامية، الصراع بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية. (مبروك بركات، مارس 2023، ص 147-151) ومع ذلك يلجّ السياسي على دمج اللغة الإنجليزية ظنا منه أن مواكبة العالمية لا يكون إلا من خلال التوجه نحو اللغة العالمية والمتمثلة في اللغة الإنجليزية.

2. المركزية وتغييب الفئات المستهدفة:

بحيث جاء العمل على إدماج اللغة الإنجليزية كقرار فوقي لم يتم فيه مشاوراة الأطراف الفاعلة، وهذا في حقيقة الأمر له أثره البالغ على المتعلم والمعلم، فليس من السهل أبدا الانتقال المباشر من التعليم بلغة دامت لسنوات (اللغة الفرنسية)

3. محدودية القدرات المعرفية للفئة المستهدفة (الطالب):

حيث نجد صعوبة في إيصال المعلومة باللغة العربية فكيف بنا مع اللغة الإنجليزية؟!، والمسألة تتعقد أمام الإفرار الممنهج الذي أضحت الجامعة تعانيه. كما تتعقد المسألة أكثر حينما يتعلق الأمر بلغات التخصص. والمقصود أن تدريس علم الاجتماع باللغة الإنجليزية ليس كتدريس اللغة الإنجليزية في حد ذاتها. إذ يقتضي ذلك الوقوف عند نصوص التخصص من نظريات ومفاهيم يصعب على الطالب استيعابها باللغة العربية، فما بالك إذا كانت باللغة الإنجليزية؟

وقد توصلت الدراسة التي أجراها (عبد الكريم قريشي) و(رمطان زعطوط) حول: اتجاهات الطلاب نحو مقاييس اللغات الأجنبية في الجامعة الجزائرية، مع 132 طالب بجامع ورقلة أن 44.69% عبروا عن تأييدهم للفكرة، إلا أنهم أكدوا أن إمكانياتهم في اللغة الإنجليزية ضعيفة. (عبد الكريم قريشي، رمضان زعطوط، ص9)، فالأمر إذن يتعلق بعدم تهيئة الفئات المستهدفة للتعامل مع الوضعيات التكوينية التعليمية- التي تفرض توافلا لغويا مزدوجا أو هجينا؛ ذلك أنه لم يتم بعد العمل على تكريس مهارة الفهم التناصي (فهم لغة أجنبية من خلال لغة أخرى ضمن العائلة اللغوية)، ناهيك عن تغييب الاهتمام باكتساب المهارات التواصلية عند الطالب. (نتاليا بشور، بوتر كوندريغ، 2020، ص 2)

صحيح أن تعدد اللغات هو أداة للهوية الإنسانية - كما يرى ذلك (هارالد هارمان)- وأن تنوع اللغات - كما يؤكد- مكسب يضاهي في نتائجه قدرة الإنسان على تشكيل الجماعات المحلية والانتماء لها. (هدسون، ص 47) غير أن هذا التعدد يجب أن يكون ضمن التخطيط اللغوي للبلاد، فلا يعقل أبدا أن يتم الاعتماد في

التدريس على نظام لغوي جديد لتعويض نظام لغوي آخر دون مراعاة الفاعلية القصوى للنظام اللغوي الوافد، بل لا بد من تهيئة الطالب من الناحية البيداغوجية والنفسية، كما يجب وضع القاعدة الأساسية لهذا النظام الجديد.

إن من أهم خصائص التدريس "مراعاة الخلفية المعرفية للطالب، وقدراته وإمكاناته واهتماماته وحاجاته العلمية والنفسية والاجتماعية" (رافدة الحريري، 2010، ص 2)، وهذا أمر ضروري لنجاح العملية التعليمية، فليس يهم في التدريس تلقين الطالب المعارف الجديدة فقط، بل لابد من مراعاة قدرة الطالب وإمكاناته واهتماماته، وهذا ينعكس إيجاباً على المستوى التعليمي الفردي والجماعي، كما أنه لا يهم تدريس المادة المعرفية بأي لغة بقدر تمكن الطالب منها، هذه النقطة نقطة مفصلية يجب الانتباه إليها، فإن مخاطبة الطالب بلغة لا يفهمها هو المعضلة التي تجعل مصير العملية التعليمية برمتها تؤول للفشل.

4. تعميم النموذج في الجامعة:

المقصود بهذا أن تعميم النموذج في الجامعة قبل الأطوار الثلاثة سيحدث لا محالة إشكالات كثيرة لعل من أهمها الانتقال المفاجئ من التدريس باللغتين العربية والفرنسية إلى التدريس باللغتين العربية والإنجليزية، هذا يحدث اختلاطاً على الطالب؛ كونه تعود منذ سنوات على أن التدريس باللغة الفرنسية هو القاعدة في كثير من المجالات خاصة المجالات العلمية والتقنية، وإذا به يفاجئ بالتدريس باللغة الإنجليزية، وهذا يحدث له ارتباكاً على المستوى التعليمي والمعرفي.

وكان من الأجدر أن يعمم النموذج الإنجليزي على باقي الأطوار وإعطائه الأولوية على حساب اللغة الفرنسية، ثم توفير البيئة المناسبة للطالب حتى يتمكن من اللغة الجديدة، ثم بعد ذلك يمكن اعتماده لغة للتدريس بالجامعة.

والسبب الرئيس لاعتماد اللغة الإنجليزية هو "الحاجة البيداغوجية، بالنظر إلى أن الإنجليزية أصبحت لغة العلم في العصر الحديث وكل التخصصات تعتمد في بحوثها ومقالاتها العلمية، حتى في الجامعات الفرنسية نفسها التي يتم فيها إدارة ندوات بلغة الإنجليز" (<https://ultraalgeria.ultrasawt.com/>) ومع ذلك فإن الحاجة البيداغوجية لا يجب أن تكون سبباً في تراجع النتائج الجيدة للطلبة، بل لا بد من مراعاة ذلك كله لجعل الاعتماد على النموذج الجديد دافعاً قوياً لتحقيق نتائج رائدة على الساحة الوطنية والعالمية.

5. ضعف التكوين في اللغة الإنجليزية لبعض الأساتذة:

فالاعتماد على اللغة الإنجليزية في التدريس لا يكون ناجعاً دون أخذ التكوين فيها بعين الاعتبار، فكثير من الأساتذة الجامعيين كان تكوينهم باللغتين العربية والفرنسية، وهذا الأمر له انعكاساته على التدريس ونظام التعليم ومنهجيته، فلا يمكن الانتقال السريع من هذا الوضع إلى وضع يعتمد فيه التدريس باللغة الإنجليزية. وهذا الأمر يحتاج إلى برنامج طويل المدى من أجل بناء نظام جديد يعتمد فيه المنظومة التعليمية الجامعية على النظامين اللغويين: العربي والإنجليزي.

وبذلك تغدو أهمية تكوين الأستاذ الجامعي في اللغة الإنجليزية ضرورة ملحة أكثر من الاعتماد على اللغة الإنجليزية لغة للتدريس بالجامعة، فلا بد قبل تعميم النموذج الإنجليزي في الجامعات الجزائرية أن يتم تكوين الأساتذة في هذه اللغة، ونحن لا نعدم محاولة الوزارة تكوين الأساتذة عبر منصة تعليم اللغة الإنجليزية "dual-mesrs.dz" والمركز المكثف للغات" إلا أن هذا لا يفي بالغرض، خاصة وأن المدة التكوينية مدة قصيرة لا تمكن الأستاذ من استيعاب أبجديات اللغة الإنجليزية فضلاً عن التمكن منها والتدريس بها ونقل المادة المعرفية للطلبة.

إن التدريس بوصفه "مجموعة النشاطات التي يؤديها المدرس في موقف تعليمي معين" (علي محسن عطية، 2008، ص 25) يحتاج قدرة ذهنية وتمكنا من المادة المعرفية واللغة التي يتم التواصل بها، فلا يعقل أبدا أن يتم هذا النشاط التعليمي دون تمكن الطرفين (الأستاذ/الطالب) من لغة التواصل، لأنه "نشاط تفاعلي تواصل" (عادل أبو العز سلامة وآخرون، 2009، ص 25) هذا النشاط إذا لم يكن طرفاه متمكنين من اللغة التي هي أداة تواصلية تفاعلية في هذا الموقف التخاطبي فإنه سيفشل لا محالة.

خاتمة:

يقف الباحث حائرا أمام مشهد التحولات التي خضع لها مسار التكوين في الجامعة الجزائرية - وهو مسار لم تنطرق له هذه الدراسة بالتفصيل - لكن الواضح أنه رسم معالم تحول شكلي، بنيوي، هيكلي، واجه ممارسات عصبية على المواكبة، بل وترفضها أحيانا.

عاشت الجامعة الجزائرية ولا تزال تغييرات رسمت مسار منحى جديد للتعليم والتكوين، كانت فيه اللغة الإنجليزية الحاضر الأكبر؛ حيث منحتها الوزارة الوصية اهتماما كبيرا على اعتبارها لغة البحث العلمي. غير أنه الملاحظ أن هذا التوجه لم يأت بطريقة تدريجية تسمح باستيعاب ما هو مطلوب، ولا بالتمكن من استعمال هذه اللغة، التي تعدّ غريبة نوعا ما عن الفاعلين في الجامعة مقارنة باللغتين العربية والفرنسية، وهو ما شاب عملية دمجها في الجامعة بالعديد من النقائص، برزت من النزاع بين ما هو مأمول من التدريس باللغة الإنجليزية، وبين الواقع الذي لم يهيا بعد للوصول إلى هذا الهدف.

يتطلب إنجاح مشروع اللغة الانجليزية في الجامعة الجزائرية تحديد نقطة انطلاق متفق عليها بين الفاعلين في النسق الجامعي، وكل أصحاب المصالح، تأسيسا على فلسفة التعليم العالي الرامية لجعل الجامعة منارة علمية ورافدا للتنمية الاجتماعية بشقّي أبعادها. يعتمد ثبات نقطة الارتكاز هذه على رؤية واقعية لتمثالتنا عن الذات والآخر، وعن الواقع والمأمول.

نجاح هذا المشروع مرهون بدمج الفاعلين في الجامعة وتحويلهم لفاعلين تنصهر آراؤهم، اتجاهاتهم، مواقفهم، وممارساتهم نحو رؤية موحدة، حتى لا تتحول الجامعة لفضاء تتجلى فيه الحداثة المعطوبة التي أوضحها عمار بلحسن على أنها مواكبة العصر من الناحية الشكلية، لكن الممارسات التي تحدث داخلها هي ممارسات تقليدية. (بلحسن، 1993،

لعلنا أمام مسألة تستدعي -من أجل إنجاحها- تحركا فاعلا على جميع الأصعدة المجتمعية: الثقافية، السياسية، الأدبية، التربوية... الخ، وتسهم فيه جل فئات وأطراف المجتمع: قيادة وهيئة تدريس وطلبة. تحركا تتوحد أهدافه في اتجاه موجب لتدعيم اللغة العربية والتمكن منها والرفع من مستوى البحوث المنجزة بواسطتها وطنيا ومحليا، والاستعانة باللغات الأخرى للهدف ذاته.

المراجع

- أحمد مصطفى حليلة. جودة العملية التعليمية آفاق جديدة لتعليم معاصر. عمان: دار مجدلاوي، 2015.
- رافدة الحريري. طرق التدريس بين التقليد والتجديد. المجلد 1. عمان: دار الفكر، 2010.
- عادل أبو العز سلامة وآخرون. طرائق التدريس العامة. المجلد 1. الأردن: دار الثقافة، 2009.
- عبد العلي الودغيري. لغة الأمة ولغة الأم: عن واقع اللغة العربية في بيئة الاجتماعية والثقافية. بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
- عبد الكريم قريشي، رمضان زعطوط. اتجاهات الطلاب نحو مقاييس اللغات الأجنبية في الجامعة الجزائرية، جامعة ورقلة.
- علي محسن عطية. الاستراتيجيات الحديثة في التدريس. المجلد 1. عمان: دار الصفاء، 2008.
- عمر بن قنة. المشكلة الثقافية في الجزائر: التفاعلات والنتائج. عمان: دار أسامة، 2000.
- عمار بلحسن، الحداثة المعطوية، التبيين، يوليو 1993، ع7، الجزائر. (10-20)
- مبروك بركات. "واقع اللغة العربية في الجزائر في ضوء صراع التعددية اللغوية." قضايا لغوية مارس، 2023، الإصدار المجلد 14 العدد: 147-151.
- محمد بلعباس، ربيعة عداد. "أثر اللغة العربية في ترسيخ مقومات الهوية الوطنية." مجلة دراسات معاصرة ديسمبر، 2022: 18.
- نتاليا بشور، بيتر كونردينغ. التنوع اللغوي: الازدواجية اللغوية في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها. جامعة هايدلبرغ-ألمانيا، 2020.
- هدسون. علم اللغة الاجتماعي. المجلد 3. القاهرة: عالم الكتب، بلا تاريخ.

reference

1. Ahmad Mustafa Halima, "Quality of the Educational Process: New Horizons for Contemporary Education," Majdalawi Publishing, Amman, 2014/2015.
2. Rafida Al-Hariri, "Teaching Methods: Between Tradition and Innovation," Dar Al-Fikr, Amman, 1st Edition, 2010.
3. Adel Abu Al-Az Salama et al, "General Teaching Methods," Dar Al-Thaqafa, Jordan, 1st Edition, 2009.
4. Abdelali Alwadghiri, Nation's language and mother tongue, Scientific books for publishing, Beirut, 2010.

5. Abdel Karim Kuraich and Ramadan Za'toot, "Students' Attitudes Towards Foreign Language Courses at Algerian Universities," University of Ouargla.
6. Omar Bengena, The cultural problem in Algeria, Oussama Publishing, Amman, 2000.
7. Ali Mohsin Attiya, "Modern Strategies in Teaching," Safaa Publishing House, Amman, 1st Edition, 2008.
8. Mabrouk Barakat, "The Reality of the Arabic Language in Algeria in Light of the Linguistic Pluralism Conflict," Linguistic Issues, Volume 4, Issue 1 (Special), March.
9. Mohamed Belabbas and Rabia Addad, "The Impact of the Arabic Language in Reinforcing the Components of National Identity," Contemporary Studies Journal, Laboratory of Contemporary Critical and Literary Studies, University of Tiaret, Volume 06, Issue 02, December 2022.
10. Natalia Beshor, Peter Konrading, "Linguistic Diversity: Bilingualism in Teaching Arabic to Non-Native Speakers," Heidelberg University, Germany, 2020.
11. Hudson, "Sociolinguistics," Translated by Mahmoud Abbad, World of Books, 3rd Edition, Cairo.